سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٧)

غربة السنة وأهلها،
وكشف بعض أسباب الخلاف المستجدة

فضيلة الشيخ

محمد بن هادي المدخلي حفظه الله

المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

كان هذا اللقاء بمدينة الرياض، يوم الأربعاء، ٤ شوال ١٤٤٦هـ

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

أبو قصي المدني

سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٧)

تَفْرِيْغُ لِقَاءٍ بِعُنْوَانِ:

«غُرْبَةُ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا، وَكَشْفُ بَعْضِ أَسْبَابِ الخِلافِ المُسْتَجَدَّةِ»

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

د. مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء بعنوان: «غربة السنة وأهلها وكشف بعض أسباب الخلاف المستجدة»(١)

قال فضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّا نحمد الله ﷻ على هذا اللقاء بإخوتي وأحبتي وأبنائي طلبة العلم هذا اللقاء الذي تسبَّب فيه أخونا فضيلة الشيخ عبدالله الأحمد -جزاه الله خيرًا-، وهو لقاء -إن شاء الله- مبارك، ويأتي في وقت مبارك؛ ألا وهو زمن عيد الفطر المبارك، فنحن اليوم -يوم الأربعاء- الرابع من أيام عيد الفطر المبارك، عام ستة وأربعين وأربع مئة وألف من هجرة المصطفى ﷺ، فنحمد الله على هذا الجمع الذي يسَّره الله -سبحانه-، وكتب الله الأجر فيه لمن تسبَّب فيه، وإنَّ مثل هذه المجالس إذا يسَّرها الله ﷻ للإنسان والتقى بإخوته وأحبته وخصوصاً طلبة العلم منهم؛ فينبغي له ولهم ألَّا يُفَوِّتوها فيخلوها من فائدة، والمذاكرة من أعظم أبواب الفائدة، والتذكير من أعظم أسباب الانتفاع، والله ﷻ قد مدح المنتفعين بالتذكير في قوله ﷻ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات:٥٥]، فأهل الإيمان شهد لهم الله ﷻ بأنهم هم أهل الانتفاع بالذكرى، نسأل الله ﷻ -بأسمائه الحسنى وصفاته العلى- أن يجعلنا وإياكم منهم، وألا يحرمنا وإياكم أجرهم بمنِّه وكرمه.

معاشر الأحبة: إنَّا في هذا الوقت -كما ترون جميعاً ونرى معكم وتسمعون ونسمع معكم وتعيشون ونعيش معكم-: السنة في غربة وأهلها الحقيقيون قلة، والقلة لا تضرهم مع ذلك،

---

(١) كان هذا اللقاء بمدينة الرياض يوم الأربعاء، ٤ شوال ١٤٤٦هـ.

فإنَّ الله ﷻ ناصر أولياءه وجنده ﷺ كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

وهذه الطائفة هي قليلة فلا يستغرب، وقد توجد، بعض البلاد لا يوجد إلا الواحد والاثنين، وبعضها لا يوجد إلا الواحد، وبعضها لا يوجد فيه أحد كما ذكر ذلك علماء الحديث وشُرَّاح الحديث في كلامهم عند حديث الغرباء، وكلامهم على الطائفة الناجية المنصورة، فقد توجد بعض الأقطار لا يوجد فيها أحد، ولكنَّ الله ﷻ بفضله ورحمته لا يخلي الأرض منهم، فوجود الواحد منهم في قطر من الأقطار يُحيي الله ﷻ به السُّنَّة، ويَبلغ ذكره عموم الأمصار، فيُرحل إليه ويُعتزُّ بعد الله به، ويُتقوَّى به، ويؤخذ كلامه وينشر في جميع الأمصار وإن كان بعيدًا عن بلد صاحب السنة الذي أصبح فريدًا فيها، فهذا العصر -حفظكم الله- نرى غربة أهل السنة الحقيقيين، الادِّعاء كلٌّ يدَّعيه، ولكن العبرة بالأعمال، ونرى أيضاً في الوقت نفسه مع هذا الذي ذكرت للأسف تفرُّق أهل السنة السلفيين، **ومن أعظم أسباب التفرق: الجهل بقواعد الشريعة، والجهل بمقاصد الشريعة**، فالعالم وطالب العلم المتمكن وإن خالفك وإن خالفته؛ فإنه كما قال الإمام الحافظ ابن القيم -رحمة الله عليه-: (يخالفك ويعذرك)[1] لأنه يعرف موارد النزاع، ويعرف ما يُعذر فيه، وما لا يُعذر فيه، وأما الجاهل فلا يعذرك، وقد يُكفِّرك، نسأل الله العافية والسلامة، إذا كان جاهلاً، فكيف إذا انضاف مع الجهل الهوى! فلا يعذرك، ويُكفِّرك بسببين، السبب الأول: المخالفة له وكأنه المعصوم، وكأنَّ الوحي نزل عليه! ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن خالفه فهو على الباطل أو على الخطأ! وربما أخرجه من السنة، وربما كفَّره، أو كاد، نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) ينظر: «إعلام الموقعين -ت مشهور» (١/ ٦٣).

فهذان العاملان سببان عظيمان في تفرُّق أهل السنة وغيرهم أيضاً، لكن أنا أتحدث عمَّن! عن أهل السنة خاصة، وأقصد بأهل السنة أهل الحديث والأثر السلفيين، كل واحد عليه أن ينظر في هذين الأمرين، وينظر في كلام أهل العلم فيهما؛ **قواعد الشريعة، ومقاصد الشريعة**، فإذا علم حق العلم هذين البابين، وأتقنهما، وفهم كلام أهل العلم فيهما؛ فأبشر بالخير منه، وستجده حقيقة هو صاحب الاتباع، أما إذا لم يفهم، أو فهم وغلب عليه الهوى؛ فهذا لا حيلة فيه، وهو الذي يقول فيه وفي أمثاله أئمة الدعوة هذا وأمثاله يقول أئمة الدعوة وكتبهم -رحمة الله عليهم- مشحونة به: (وأما مَن أعماه هواه فلا حيلة فيه)، والأول الجاهل، يقولون: للجاهل لا ينبغي أن يخاطب بالأدلة؛ لأنه ما يفهمها، الجاهل يعطى الحكم، أما أنك تعطيه ما تعطي العالم كأنه عالم يستنبط! هذا ما يصلح.

ومن هذين البابين جاء الفساد، أما الهوى فأمره ظاهر، **ولكن المشكلة المصيبة قضية التعالم، حيث وجد في هذه الآونة الأخيرة فراريج**، وهؤلاء الفراريج بعضهم يريد أن يضع؛ بل وضع نفسه مقام العلماء! لا بل وضع نفسه مقام الأئمة العلماء، فأصبح يصدر الأحكام على عموم الناس وعلى إخوانه أهل السنة السلفيين، يصدر عليهم الأحكام التي لا يجرؤ عليها كبار أهل العلم، فمن هنا غرَّهم إبليس حتى ارتفع بهم درجة؛ فرأوا أنهم على الحق -وهم أهل الحق-، وأنَّ من خالفهم يجب أن يكون تبعاً لهم! بل ولا يكفي ذلك؛ لا بد وأن يمشي على حسب ما يملونه هم، فأصبحوا بعد ذلك أشد جرأة، وهي الرتبة الثالثة وأعلاها وكانت هي سبب الفساد الذي عم وطم في هذه السنوات الخمس أو الستة الأخيرة، هذه الرتبة الثالثة هي يريدون تسيير المشايخ والعلماء على حسب ما رأوه ويختطُّونه هم، **فأصبحوا يقولون مثل هذه المقالة واسمعوها مني وأنا الخبير ببعض هؤلاء: فلان من المشايخ معنا! هكذا يقولون، وفلان من المشايخ في الطريق، هذه كم؟ الثانية، والثالثة قالوا: وأما فلان من المشايخ فبعيد**، لماذا؟ لأنه لم

يوافقهم على إيش؟ على طريقهم، هذا القسم الثالث من المشايخ الذين لم يوافقونهم على طريقتهم المُعْوَجَّة، بعد ذلك يأتون إلى تشويه سمعتهم، فينفثون هذه العبارة الكاذبة الآثمة، **فيقولون: الشيخ فلان كبار مشايخ لا يرتضون طريقته!** ما شاء الله! ما شاء الله! ومَن قال؟ ومَن أجرى الاستفتاء على كبار المشايخ؟ ومَن صرَّح له كبار المشايخ بأنهم لا يرتضون طريقة إيش؟ الشيخ فلان، وهكذا يبثون ذلك في صفوف السلفيين الناشئين والمتوسطين، فيقْسِمون بذلك مشايخ أهل السنة إلامَ؟ إلى قسمين، ثم ينتقلون بعد ذلك ويعودون إلى مَن استطاعوا التأثير فيه وأحاطوا به مِن بعض المشايخ السلفيين، فيستعملون معه طريقة ماكرة خبيثة جداً جداً؛ فتجده أو تجدهم يأتون إلى هذا الشيخ، فيقولون له: فلان دائماً يخالفكم، فلان دائماً يخالفكم، فلان دائماً يخالفكم، فتجده الإنسان بشر إذا لم يعنه الله ﷻ عليهم ويكشفهم؛ فإنه يتأثر بهم مهما كان.

والعالم قد يقع بعض الأحيان كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه- قد يقع منه الهوى، واقرؤوا القرآن؛ فإنه فيمن هو أعظم من العالم، قال الحافظ ابن كثير وغيره من المفسرين وغيرهم من أهل العلم أئمة الإسلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مَن هو داود؟ نبي من أنبياء الله العظام، آتاه الله الحكمة، وآتاه فصل الخطاب وشدَّ ملكه ﷻ وعظم ملكه ومن بعده ابنه سليمان -عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-، فالله يقول لهذا النبي العظيم: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص:٢٦]، هذا نبي من أنبياء الله، الله ﷻ قد عصمه، ومع ذلك يقول الله له هذا، أهل العلم يقولون في هذه الآية: من فوائدها أو من الفوائد التي فيها: التنبيه على الأدنى بالأعلى، إذا كان نبي من الأنبياء

العظام يقول الله له هذا؛ يحذِّره من اتباع الهوى -وهو معصوم-، فمن دونه متصور منه ولا لا؟ متصور منه، ولهذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ابن تيمية: (العالم قد يقع منه الهوى) هذا معروف.

فالشاهد: فقد يوافق شيء في نفس ذلك الشيخ أو العالم، ويحصل كثرة الطَرْق عليه بمثل هذا الكلام: فلان يخالفك! فلان يخالفك! يوغرون الصدور، فأحدثوا الفرقة بين السلفيين، وأحدث الفتنة بين السلفيين، فصاروا شراً، وإنه والله لا يُستبعد أن يكون في هؤلاء -وحتى أكون منصفا ولا أُعَمِّم والتعميم لا يجوز- لا يُستبعد أن يكون في هؤلاء مندساً.

بالأمس كان مع السروريين، وفي سنوات وإذا به رأس عند المشايخ في السلفية! هذا من أعجب العجب، بالأمس وهو مع الحزبيين، واليوم وإذا به مُقَرَّب من السلفيين، وأصبح هو الذي يتكلم في مشايخ السلفية والدعوة السلفية، ويقول: هذا قريب، وهذا بعيد، وهذا معنا، انظروا حتى إلى العبارة قليلة أدب، العالم الفلاني أو الشيخ الفلاني إيش؟ معنا، صاروا هم الأصل، والعالم تبع لهم، هذه مصيبة، هذه هي البلية التي حصلت، سبع سنوات، ثمان سنوات، عشر سنوات، فصار ما صار، ومن لم يدرك القضية يظن أنَّ السلفيين كلهم على هذا، وليس كذلك، -ولله الحمد- أبان الله ﷻ حال هؤلاء، وكشف أمرهم، ومن فضله -جلَّ وعز- أن كشف بعضهم بلسانه، وإذا بهم كما كنا نتوقع -وكما قلت لكم قبل قليل الآن- وإذا بهم على طرائق الحزبيين؛ مجالس سرية، وخطابات، وفتاوى سرية، وتسريب إلى أقطار العالَم، وتدخُّل في مواقع الفتن والمواقع المضطربة التي فيها المشاكل، وأصبحوا شراً على هذه الدعوة السلفية، والحمد لله أنَّ الله كشفهم بألسنتهم بعدما تبين أمرهم، بل من فضل الله بعد ما تكلم فيهم كثير من السلفيين، فمن فضل الله ﷻ مثل هذا الذي ذكرت من هذه الاحداث لم تُنسب إلى السلفيين لما ظهرت، لماذا؟ لأنهم بادروا بإنكارها، صبروا، صبروا، صبروا، ثم بادروا بعد ذلك بإنكارها، وشُنَّت الحرب عليهم، وقيل فيهم ما قيل، واستنفر العالَم ضدهم، ليس العالم الإسلامي أو

العربي، ولكنَّ الله ﷻ ناصر دينه، ومعلن كلمته، وما يصح إلا الصحيح، ولا يبقى إلا الصدق، ولا يعلو إلا الحق.

الذي أقوله -معاشر الأحبة-: مثل هذا لا ينبغي أن يَفُتَّ في عضد السلفيين؛ كون الشيخ فلان أو الشيخ فلان حصل منه ما حصل، لعل الله يعذره، لكن أنا وأنت ممن علمنا لا يجوز لنا ترك ما علمنا لِمَ؟ لقول فلان ونحن نعلم خلافه.

وهذا يذكرني بكلام للإمام ابن قدامة(١) -رحمه الله تعالى-، وفي الحقيقة أنا صوَّرته قريباً، سأقرأ عليكم بعضاً منه، يقول -رحمة الله عليه- في قصة الخلاف بينه وبين ابن الخضر ابن تيمية الحراني، لما صار ما بينهم في مسألة معينة وقيل فيه ما قيل في الموفق، فكانت له كلمة جميلة جداً، وهو الموفق فعلاً وُفِّق فيها غاية التوفيق، وحقها أن تكتب بماء العينين ليس بماء الذهب، اسمعوها، يقول رحمه الله: (وأما قوله -يعني ابن الخضر ابن تيمية-: «إني كنت مسألة إجماع» -يعني كل الناس مجتمعة علي-، فصرت مسألة خلاف -اختلفوا إيش؟ بسبب كلمة لي فتوى قلتها- قال: فإنني إذا كنت مع رسول الله ﷺ في حزبه متبعاً لسنته ما أبالي من خالفني، ولا من خالف فيَّ، ولا أستوحش لفراق من فارقني، وإني لمعتقد أنَّ الخلق كلهم لو خالفوا السنة وتركوها وعادوني من أجلها؛ لما ازددت لها إلا لزوماً، ولا بها إلا اغتباطاً إن وفقني الله لذلك) انظر إلى هذا الكلام الجميل.

ثم اسمع: (فإنَّ الأمور كلها بيده سبحانه، وقلوب العباد بين إصبعيه ﷻ) يعني هو الذي يقبل بها على العبد محبة وبغضاً، والمحبة والبغض لا تنال إلا بالاتباع: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

---

(١) ينظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٣٢٧) وما بعدها.

والسُّنَّة عندنا -معاشر الأحبة- بعد كلام رسول الله ﷺ: قول الخلفاء الراشدين، وقول الصحابة ﷺ من بعدهم، «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكوا بها، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(١).

فالشاهد: هذه هي السنة التي يجب على العبد أن يتمسك بها إذا ظهرت له، فإنه لا يجوز له أن يدعها لقول أحد من الناس كائناً من كان، كما قال ذلك الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أجمع العلماء على أنَّ من استبانت له سُنَّة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس)(٢) هذا بالإجماع، إذا تبين لي الحق ودليله من كلام الله وسُنَّة رسوله ﷺ أو من كلام الله، أو من سنة رسوله ﷺ؛ لم يجز لي أن أُقَلِّد أحدًا ولو خالفني في ذلك، ولو كان كبيراً في ذلك، ولو كان شهيراً في ذلك، لِمَ؟ لأنَّ الله ﷻ قد يعذره ويأجره، أما أنت الذي استبان لك الرَّشَد والرُّشْد والحق بدليله في خلاف ما قال؛ لا يجوز لك أن تقلده ولو كان عالي القدر كبير المقام كبير المكانة، ما يجوز لك أن تترك الدليل لقوله مهما كان، فاحترامه شيء، واتِّباع الدليل شيء آخر، فإذا كان الإنسان يعرف أنَّ الحق في خلاف قول هذا العالم؛ فإنه لا يجوز له أن يتابعه، ويدعو له بالهداية، ويدعو له بأنَّ الله يفتح عليه، ويدعو له بأنَّ الله ينوِّر بصيرته، ويدعو له بأنَّ الله ﷻ يريه الحق حقاً ويرزقه اتِّباعه، ويدعو الله له بأن يكشف له ما كشف له هو، فحينئذٍ يتبين، فإذا كان كذلك فإنَّ الإنسان لا يبالي بحال من خالفه ما دام على السنة، وإذا كان على السنة فإنَّ الانسان يقوى بذلك كائناً من كان مخالفه، لِمَ؟ لأنَّ الدليل معه، وصاحب الحجة أقوى من غيره؛ لأنَّ صاحب الحجة يقول: قال الله، وقال رسوله، والمخالف له: قال فلان، قال فلان، وعند كل عاقل إذا سمع الكلام من الاثنين هذا يقول: قال فلان، وهذا يقول: قال الله، وقال الرسول ﷺ؛ يدرك

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٧١٤٢)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٤٣)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٧٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» برقم (٢٤٥٥).

(٢) ينظر: «إعلام الموقعين -ت مشهور» (٢/ ١١).

حينئذٍ الفرق بين هذا وهذا، ولذلك يقول ﷺ أيضاً يقول هذا ابن قدامة يقول في هذه المسألة مسألة اتباع العالم ولو كبر مكانه أو تقدَّم زمانه، أو كان إماماً إذا ظهر أنَّ قوله خطأ لا يجوز لك وكونه يريدك أن تقول بقوله؛ هذا باب عظيم، هذه مصيبة، يقول -رحمة الله عليه- عن الخضر ابن تيمية الحراني يقول: (ولكن إن ظهر عند سعادته تصويب الكلام -يعني في المسألة التي تنازعوا فيها في التخليد- تقليداً للشيخ أبي الفرج -يعني ابن الجوزي- وابن الزاغوني؛ فقد تيقنت تصويب السكوت عن الكلام فيها اتِّباعاً لسنة سيد المرسلين ﷺ، ومن هو حجة على الخلق أجمعين، ثم لخلفائه الراشدين وسائر الصحابة والأئمة المرضيين، لا أبالي من لامني في اتباعهم) هذا واحد (ولا من فارقني في وفاقهم)، **فإذا وافقت الحق يجب عليك أن تثبت عليه، ولا تنظر إلى من خالفك**، لكن انظر إلى المخالفة؛ هل يجوز لك أن تتبع الباطل تعظيماً لفلان؟ أم يجب عليك أن تلزم الحق وإن خالفك فلان الذي أنت تعذره وهو لا يعذرك لسبب من الأسباب أو من السببين الذين ذكرهما أو لهما جميعاً؟ قال رحمه الله: (فمن وافقني على متابعتهم -يعني الصالحين- وأجابني إلى مرافقتهم وموافقتهم فهو رفيقي وحبيبي وصديقي، ومن خالفني في ذلك؛ فليذهب حيث شاء، فإنَّ السبل كثيرة، ولكن خَطِرة) وهذا الذي رأيناه، رأينا الخطورة جرَّتهم إلى ما جرَّتهم إليه من مصيبة الشذوذ عن مشايخ السنة في هذا العصر جميعاً، وأوقعتهم فيما أوقعتهم فيه أولاً: من التفرقة، ثانياً: من إثارة الفتنة، ثالثاً: من أخذهم لهذه الشرذمة أو لهذه القلة ممن اغتر بهم، فأوردوه الموارد، فكما قال ابن قدامة: (السبل كثيرة، ولكنها خطرة) فأصبحنا عندنا إيش! مجالس سرية، وأصبحنا عندنا فتاوى سرية، وأصبحنا عندنا فتاوى لا ترسل لا بالورق ولا بالهواتف، يعني مع أشخاص، أنت تأتيني فأعطيك، وأنت تبلغها للثاني، فيعطيه، والثالث يبلغها للرابع فيعطيه، والرابع يبلغها لابن بلده فيعطيه، فتصل إليه من غير أن يُعلم طريق إيصالها، المهم أنها وصلت إليهم من طريق سمَّوه ونصُّوا من طريق

موثوقة ومأمونة، هذا فعل مَن بالله؟ أسألكم بالله فعل مَن؟ فعل التنظيمات الحزبية السياسية، طرائق الخوارج الذين لا يريدون أن يبقوا بصمات يكتشفون بها في المكتوب أو المسموع، فأحدثوا شراً بين السلفيين، ولكن الله ﷻ سبحانه رفق بهذه الدعوة، وبهذه الطائفة -طائفة أهل السنة-، فكفاهم الله شر هؤلاء، وأبان مكرهم، وأبان خطورتهم، وأبان ما هم عليه من الباطل الذي تُحَدِّث به وحُذِّر منه.

وفي الحقيقة هذا الأمر ما جاء -كما قلت لكم- إلا بعد ما بُيِّن حال أهله، فحمى الله السلفيين من أن ينسب إليهم، ولكن نسب إلى هذه الطائفة.

وأما هذا الشيخ -كما قلت لكم- أو ذلك العالم، أو ذاك الشيخ الذي صدَّقهم، أو اغترَّ بهم، أو انخدع بهم؛ مع أن بعضهم لا يجوز أن ينخدع بهؤلاء وقد كان يعرفهم، وقد كان يعرفهم، فلا يجوز له ذلك، ولكن أمر الله نافذ، ومشيئته غالبة، هذا لا يجوز لك أن توافقه لأنه كبير المقام، أو كبير المكانة، أو كبير القدر، أو يقال: البركة مع الاكابر! لا يا شيخ، **البركة مع الأكابر إذا كان الحق معهم**، ابن مسعود ﷺ وابن عباس -رضي الله عنهما- حصل بينهم ما حصل بالاختلاف في المسائل، وأين ابن مسعود، وأين ابن عباس، ابن عباس نعم حبر الأمة، لكن ابن مسعود من كبار الصحابة الفقهاء، وإذا أطلق الفقهاء؛ فعبد الله بن مسعود من كبارهم ﷺ، ومع هذا يحصل الخلاف بينهم، ويشتد بعضهم أيضاً على بعض في الخلاف في المسألة المعينة إذا ظهر الدليل له مخالفاً لمن هو أكبر منه فيقول: لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين إن أنا وافقته، وما أوجب ذلك إيش؟ وحشة، ولا مباغضة، ولا مخاصمة، لا، هؤلاء جميعاً قصدهم الحق، هكذا أهل العلم، لكن إذا تدخَّل بينهم أهل الإفساد فإنهم يفسدون، فنسأل الله ﷻ السلامة، وهذا فيه شبه بعمل المنافقين، وأشهدكم هذه اللحظة على مقالتي هذه؛ لأنه غداً سيأتي من يقول: محمد بن هادي يقول عن هؤلاء منافقين، أقول: هذا العمل فيه شبه بعمل المنافقين، كما

قال النبي ﷺ في الثلاث: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصَاً، وَإِذَا كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا»[1] فهل الذي يقع في هذا يكون منافقاً اعتقادياً -نفاق اعتقادي-؟ لا، لكن عملي، فهذا لا شك أنه من خصال المنافقين، نسأل الله العافية والسلامة.

والعبد يجب عليه ألا يسعى لإرضاء فلان ولا لإرضاء فلان، ولكن عليه أن يسعى إلى إرضاء الرحمن ﷻ، ولا ينبغي لك في الوقت هذا أيها السني السلفي أن تأمرني بأن أكون مع فلان في كل ما يقوله؛ لأنه أحياناً قد يظهر لي أنَّ كلامه خطأ مئة بالمئة، وأنا متيقن من ذلك كالشمس في كبد السماء، ليس دونها سحاب، ومن أعظم الأدلة أنني أعرف من حال هذا الشيخ مثلاً في هذه المسألة قبلُ خلاف هذا القول الذي الآن يقول به، فقوله الأول هو الحق، فلمَ تغير؟ أنا ما تغيرت، بدا له اجتهاد؛ هذا أمره، ومعذور عندي، الله أعلم بحاله، لكن أنا ما يجوز لي أن أوافقه وقد علمت الحق والهدى بدليله، اسمع يقول -رحمة الله عليه- هذا الشيخ الإمام ابن قدامة يقول: (وهل فرض الجاهل بشيء إلا السكوت عنه، وأنا ما أنكرت هذا إلا على الجاهل به، أما من قد اطلع على الأسرار، وعلم ما يفعله الله تعالى على جليته فما أنكرت عليه) إذا اطلع على الأدلة، أنا ما أنكرت أنا تكلمت على من؟ على الجهال، الجهال تكلمت عليه، وأما من علم فهذا بابه باب آخر، واسمعوا أكثر من ذلك، قال: (ولا ينبغي له أن يأمرني أن أقول بمقالته) وهذا بيت القصيد؛ الآن إذا قال الشيخ الفلاني أو العالم الفلاني قولاً -وهذا أمر مهم يا أحبة- إذا قال العالم الفلاني قولاً، واتضح عند الشيخ الآخر أنَّ قوله مرجوح؛ لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في تحزبنا، هذا مع فلان، وهذا مع فلان، وهذا يقول لك: تخالف الأكابر! إيش هذا الكلام؟ الذي قلناه قبل قليل، هذا ما خالف لهوى، خالف لظهور الأدلة، ولا يجوز لك أن تأمره بالتقليد وهو عالم، أو هو شيخ يعرف طرائق الاستدلال، ويعرف طرائق الاستنباط

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٦) بلفظ: (أربع) بدل (ثلاث).

توجب عليه أن يكون مع فلان في كل ما يقول! هذا ليس لأحد إلا لرسول الله ﷺ الذي قال الله في حقه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦].

فأنت لا يجوز لك أن تقول: لا بد أن تكون مع الأكابر، انظر هذه الكذبة: لا يجوز لك أن تخالف الأكابر، عليك أن تبقى مع الأكابر، طيب والمشايخ الآخرين الذين خالفوهم إيش يصيروا؟ هذا عجيب!

ونحن إلى وقت قريب؛ الشيخ ابن باز يخالفه أخوه الشيخ محمد بن عثيمين، الشيخ محمد ابن عثيمين يخالفه أخوه الشيخ صالح الفوزان، اللجنة كلها يخالفهم شيخنا الشيخ عبد العزيز -رحمة الله عليه- ابن باز في مسألة الطلاق، هل قال أحد منا ومن المشايخ في ذلك الحين أنه يجب على الشيخ ابن باز أن يكون مع الجماعة؟ ما يجوز.

الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في مسألة الطلاق الثلاث له كلامه، إذا كانت في مجلس واحد ومكررة بلفظ واحد في آن واحد وفي مجلس واحد كان يراها طلقة لحديث ابن عباس، وبقية المشايخ يرون قول الجمهور -رحمة الله عليهم جميعاً-، فما قال واحد: خلك مع فلان، ولا قال الثاني: لا هذا خالف الجماعة، ولا قال الثالث: خلك مع الأكابر، هذا الكلام ما نعرفه، ولا تعلَّمناه، ولكن لما جاء أهل الجهالة، صار هذا البلاء، فأصبحوا يوجبون على بعض المشايخ وعلى بعض أهل العلم أن يقلدوا، ومَن هم حتى يخوضوا غمار هذه المسائل؟

هذه الكلمات -يا أحبة- إذا فقهناها حق الفقه؛ والله ما يحصل خلاف بين طلبة العلم السلفيين أبدًا، والله ما يحصل، لماذا؟ لأنَّ مقصد الجميع اتباع السنة، وتعظيم السنة، واتباع الدليل.

هناك أمر آخر نتج عن هذا، وهو ينتج عن كل فتنة، وقد تكرر كثيرًا، وهو أنه إذا حدثت مثل هذه الفتن تجد بعض الناس يضعف، فيتميَّع، ويعود ويرتمي في أحضان مَن كان هو بنفسه ينتقدهم بالأمس من جميع صنوف المبتدعة والمتحزبة والمتميعين، هو بنفسه بالأمس يقول عنهم متميعين، الآن رجع وارتمى في أحضانهم، يعني رَدة فعل، وهذا قد شهدناه في عدد من الفتن التي مرت بالسلفيين من ثلاثين عام، كلما جاءت فتنة ترقق التي قبلها، هذا الأمر الثاني الخطير، وأخطر منه من يُسوِّغه لكن بطريقة ماكرة، فيقول: كفانا تفريق، كفانا تشدد، كفانا تشرذم، كفانا.. كفانا..، والسلفيين بحاجة إلى أن يجتمعوا، هذا كلام حق، لكن على ماذا الاجتماع؟ الاجتماع يكون علامَ؟ ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

والاجتماع على السنة الاجتماع على الهدى هكذا كما قال النبي ﷺ: «**تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(١)] هكذا نجتمع نجتمع على السنة، نأتلف على السنة.

أما أن تريد من خالفنا وخالف أهل السنة والحديث -وأنا لا أقصد من خالفنا خالف شخصي- لكن أقصد السلفيين، أقصد من خالفنا معاشر أهل السنة معاشر السلفيين-، تريد أن تعيد إلينا من خالفنا إلى مذهب الخوارج! تريد أن تعيد إلينا من خالفنا إلى مذهب السروريين مثلاً! تعيد أن تدخل وترجع إلينا من خالفنا إلى المميعة، تريد أن ترجع إلينا إلى صفوف أهل السنة والسلفيين من اتبع فلان وفلان أو فلان أو فلان ممن شذُّوا وفارقوا أهل السنة، ونابذوهم، وحاربوهم، وألَّفوا فيهم المؤلفات، وألقوا فيهم المحاضرات! هذا محال، بدل أن تقول أنت: يجب عليهم هم أن يتوبوا ويظهروا توبتهم في المسائل التي خالفوا فيها السلفيين

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٢٤٧٩)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٩٩٣)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٥٩٦)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٤٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٤٠٢) برقم (٢٠٣).

حينئذ يعودوا، قال ﷾ مبيناً حال أهل العلم إذا خالفوا متى تقبل منهم التوبة، فكيف بمن دونهم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]، ثلاثة أمور: توبة، كف عن الاستمرار في الباطل والخطأ، وأصلح؛ أصلح ما كان قد أفسد، إن لم يستطع إصلاحه كله أقل شيء قدر ما يستطيع، الثالثة: أن يبين أنه قد أخطأ، ويتوب إلى الله ويستغفره، وإلا من ماذا تاب؟ تريد ترجِّعهم إلى السلفيين بهذه الطريقة؟ هذه المشكلات والمعضلات هي التي تفسد مرة أخرى صفوف السلفيين، **وللأسف هذا الترقيع الآن يقول لك: ترميم البيت السلفي**، ترميم البيت السلفي على ماذا؟ البيت السلفي ما طاح أصلاً -ولله الحمد-، أما كونه طاحت منه طاقة، نافذة، أو طاح منه باب، ثم أعيد يصلح، أما ترمم البيت! البيت قائم ولله الحمد ما طاح، ترميم البيت السلفي بماذا؟ بشحن كل أهل الباطل فيه الذين خالفوا أهل السنة تعيدهم فيه، ولم يتوبوا، ولم يصلحوا، ولم يبينوا! هذا من أبطل الباطل يا أحبة، وانتبهوا له، وهو والله من أجرم الإجرام، لـمَّا لم يستطيعوا هدم السنة مباشرة وحرب السلفيين مباشرة استغلوا هذه الفرقة التي حصلت فأرادوا أن ينتهزوها ويعيدون الذين قد فارقوا السلفيين إلى هذه الدعوة السلفية على باطلهم كلٌّ بباطله، فتتصوَّرون إذا سُكِتَ عن هؤلاء واستُقبل هؤلاء المبطلين الذين قد فارقوا فارقوا السلفيين من ثلاثين سنة، ثم خمسة وعشرين سنة، ثم عشرين سنة، ثم خمسة عشر سنة، ثم عشر سنين في أحداث متتابعة متكررة ومختلفة، إذا أعادوهم على باطلهم، وأدخلوهم في أهل السنة ماذا يصير؟ لا يمكن أن ترى بعد ذلك سُنة صافية نقية، ولا سلفي صافي نقي.

فاحذروا -يا معاشر الأحبة- من هذا، وأعتذر من الإطالة عليكم.

وأسأل الله ﷻ -بأسمائه الحسنى وصفاته العلى- أن يجعلنا وإياكم من أهل الفقه في دينه، وأن يثبتنا وإياكم على ما علمناه من الحق والهدى من كلامه وكلام نبيه ﷺ، وألا يضلنا بعد إذ هدانا، وأن يعصمنا وإياكم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم وبارك

على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين».

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الخَامِسِ مِنْ شَهْرِ شَوَّال عَامَ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ